**دراسة الحالة 18**

**تسويق المعارف التقليدية بشأن نبتة تتيح كبح الشهية في جنوب أفريقيا وناميبيا**

تظهر دراسة الحالة هذه أنه يمكن تشجيع مجموعات البحث وشركات الأدوية التي تسعى إلى استغلال المعارف التقليدية لتحقيق ربح تجاري على اعتماد ممارسات أخلاقية من خلال الضغط الإعلامي، حتى في الحالات التي لم تنل فيها بعد حقوق الملكية الفكرية للجماعات الحماية القانونية. ولكن تظهر هذه الدراسة أيضاً أنه حتى في الحالات التي جرى فيها التفاوض على اتفاقات لتقاسم المنافع، لا تستفيد الجماعات بالضرورة من تسويق معرفتها التقليدية، لا مادياً ولا بطريقة أخرى. كما أن هذه الجماعات قد لا ترضى بنتائج هذا التسويق، مما يؤكد أهمية إجراء مشاورات مستفيضة مع الجماعة المعنية قبل عقد الاتفاقات. وتظهر الدراسة كذلك أنه من الصعب في أحيان كثيرة تحديد من هي الجماعة المعنية.

**تسويق نبتة هوديا (Hoodia*)* بدون تشاور مُسبق**

عرفت جماعات سان (بوشمان) (San (Bushman)) في أفريقيا الجنوبية خصائص نبتة *هوديا غوردوني* (*Hoodia gordonii)* التي تكبح الشهية لقرون عدّة، وجرى توثيق هذه الخصائص منذ القرن الثامن عشر. وفي منتصف تسعينيات القرن الماضي، وبعد عشر سنوات من البحوث، تمكّن مجلس البحوث العلمية والصناعية، وهو منظمة تموّلها الدولة في جنوب أفريقيا، من تحديد المركّب الفعّال عقاقيرياً في نبتة *هوديا*، وأطلق عليه اسم "P57". وقدّم المجلس عدّة طلبات للحصول على براءات اكتشاف في جنوب أفريقيا وأماكن أخرى. ووقّع المجلس بعد ذلك اتفاق ترخيصٍ عالمي لتطوير المنتجات المرتبطة بنبتة *هوديا* مع شركة "فيتوفارم" (Phytopharm plc) البريطانية.[[1]](#footnote-1)

وقد أجرت الشركة هذه المزيد من البحوث على مركّب "P57"، ووقّعت اتفاقاً مع شركة "يونيليفر" (Unilever) في عام 2004 لإنتاج دواء يكبح الشهية يعتمد على نبتة *هوديا*.

وفي هذا السياق، لم يعترف المجلس بحقوق جماعة سان ولم يستشرها، مع أن معرفتها التقليدية هي التي أدّت إلى تطوير مركّب "P57". وفي عام 2001، أفاد المدير التنفيذي في شركة "فيتوفارم"، ريتشارد ديكسي، بأن "الجماعة التي اكتشفت النبتة لم تعد موجودة".[[2]](#footnote-2) وكانت منظمة "بيوواتش" (Biowatch) غير الحكومية من جنوب أفريقيا تراقب هذه القضية. وبمساعدة جمعية "أكشن آيد" (Action Aid)، وهي جمعية خيرية دولية تعمل في مجال التنمية، نجحت في لفت انتباه وسائل الإعلام الدولية إلى هذه القضية. وإثر تصاعد الضغط نتيجةً لمزاعم ارتكاب قرصنة بيولوجية، بدأ مجلس البحوث العلمية والصناعية وشركة "فيتوفارم" مفاوضات مع ممثلي جماعة سان. وفي عام 2002، تكلّلت هذه المفاوضات بتوقيع مذكرة تفاهم بين المجلس ومجلس جماعة سان في جنوب أفريقيا. واعترفت المذكرة بأن جماعة سان هي حاملة المعرفة التقليدية بشأن الاستخدامات البشرية لنبتة *هوديا*.

**اتفاقٌ لتقاسم المنافع**

أدّت مذكرة التفاهم لاحقاً دوراً محورياً في صياغة اتفاق بشأن تقاسم المنافع بين مجلس البحوث العلمية والصناعية ومجلس جماعة سان في جنوب أفريقيا في عام 2003. ونصّ هذا الاتفاق على أنه يتعيّن على المجلس أن يسدّد نسبة 8٪ من كل الدفعات المرحلية من شركة "فيتوفارم" إلى جماعة سان، بالإضافة إلى نسبة 6٪ من كافة العوائد يتلقاها المجلس منذ توافر الدواء في الأسواق. و"تخضع الدفعات المرحلية لأهداف متّفق عليها مرتبطة بأداء مركّب "P57" التقني أثناء تطويره السريري خلال السنوات الثلاث أو الأربع المقبلة، وتعتمد العوائد على المبيعات التي لا يفترض أن تبدأ قبل عام 2008."[[3]](#footnote-3)

وقد أجمع ممثّلو جماعة سان على أن الجماعة، بنظمها وهيكلياتها، يجب أن "تسعى جاهدة لكي تصل غالبية الأموال المتلقاة إلى جماعات سان وأن تستفيد منها هذه الجماعات"، على أن تُخصّص نسبة لا تتجاوز 20٪ للتنظيم والإدارة. وأنشئ صندوق تقاسم منافع *هوديا* مع جماعة سان بهدف إدارة الأموال الناتجة عن الاتفاق مع المجلس.

**المشاكل المرتبطة بتسويق المنتج**

أدّت الدعاية التي أحاطت بالدواء إلى ظهور عددٍ من الأدوية المقلّدة التي انتهكت البراءة. وأدت أيضاً إلى حصاد جائر للنبتة في البرية هدّد استدامتها، فأدرجت في الذيل الثاني من اتفاقية التجارة الدولية بأنواع الحيوانات والنباتات البرية المهدّدة بالانقراض (2004). وعلى الرغم من الضوابط التي حدّدتها الاتفاقية، انتشرت زراعة نبتة *هوديا* في مناطق أخرى من العالم، مما أدّى إلى تراجع حصّة جنوب إفريقيا من إنتاج هذه النبتة لأغراض تجارية بحلول عام 2009. ولم تكن جماعة سان تشارك في الزراعة التجارية للنبتة، وحصلت على قلّة قليلة من المنافع غير المالية من اتفاقها مع مجلس البحوث العلمية والصناعية، مثل بناء القدرات أو التمويل لتأسيس شركات زراعية. وفي عام 2007، قام المزارعون في جنوب أفريقيا، الذين كانوا يزرعون نبتة *هوديا* كمادة أولية لسوق المكمّلات العشبية والغذائية، بالتفاوض على اتفاق آخر لتقاسم المنافع مع جماعة سان، بناءً على ضريبة تُفرض على تصدير النبتة. ولكن بحلول عام 2009، لم يُدفع أي مبلغ بسبب مشاكل في احتساب صادرات النبتة.[[4]](#footnote-4)

وفي تطوّر سلبي آخر، انسحبت شركة "يونيليفر" من اتفاق ترخيص شركة "فيتوفارم" في عام 2008 وتخلّت عن خططها الرامية إلى تطوير نبتة *هوديا* كجزء من الأغذية الوظيفية، ذاكرةً بعض المخاوف المرتبطة بعاملَي السلامة والفعالية. وبحلول شهر تشرين الأول/أكتوبر 2010، كانت جماعة سان قد تلقت مبلغ 100 ألف دولار أميركي فحسب من اتفاق تقاسم المنافع مع المجلس، أي عُشر الربح المتوقّع. وكافحت هيكلياتها التنظيمية للتعامل مع هذا الربح المالي المتواضع.

**آراء الجماعة بشأن تسويق نبتة *هوديا***

انقسمت الآراء ضمن جماعة سان بشأن منافع تسويق معارفها بشأن نبتة *هوديا*. ففي مقابلات أُجريت بعد توقيع الاتفاق بسنوات قليلة، اعتبر أفراد عدّة أن ممثليهم في صندوق تقاسم منافع *هوديا* مع جماعة سان والمنظمات الأخرى لم يقدّموا إليهم المعلومات الملائمة بشأن المنافع. وقد واجهوا مشاكل في الربط ما بين المنظّمات ومختلف الاتفاقات التي أبرموها بشأن تقاسم المنافع من تسويق *هوديا* في جنوب أفريقيا وناميبيا.

وادّعت مجموعة أصلية أخرى، هي جماعة ناما، بأنه يحقّ لها أيضاً أن تستفيد من تسويق المعارف الأصلية بشأن نبتة *هوديا*.

وكانت غالبية أعضاء جماعة سان مستعدة لتسويق معارفها، ولا سيّما وأن الجماعة مهمّشة اجتماعياً واقتصادياً. ولكنها تواصل أيضاً الاعتزاز بمعارفها المتعلقة بالنباتات الطبيّة لأسباب رمزية وفوق طبيعية وشعائرية. وقد غيّر تسويق النبتة إلى حدٍ ما هذا المعنى بالنسبة إليها.

وتعتبر جماعة سان نبتة *هوديا* من أهم النباتات بالنسبة إليها. فهي "قوة الحياة" التي تمنح الغذاء والماء والطاقة، ولكنها تمثل أيضاً "الأيام الخوالي حيث كان بإمكان المرء أن يذهب في رحلات صيد ويجمع الغذاء من البرية". ويشعر أعضاء الجماعة بأن قوة النبتة مستمدّة من موطنها الطبيعي، وهو ما يُفقد عندما تُزرع لأغراض تجارية في حاويات. ووفقاً لأحد أعضاء الجماعة:

عندما تأكل نبتة *هوديا* في البرية، يمكنك أن تتمتع بقوّة النبتة... ولا يمكن أن تختبر هذه القوة والطاقة في أقراص دواء. ولقد تخلّينا عن القوة مقابل المال... فنبتة *هوديا* تتمتّع بالحياة وهكذا تحصل على قواها. وأنتَ لن تحصل على هذه القوى أبداً من خلال زراعة *هوديا*.

لهذا السبب، يَصعُب على بعض أفراد جماعة سان أن يفهموا كيف يمكن لأقراص دواء أن تحقق نفس الأثر الذي تحققه النبتة البرية، ويعتقدون أن بعض المكوّنات الأخرى تُضاف إليها. ويشعرون بأنهم تخلّوا عن بعضٍ من معنى النبتة من خلال تحويلها إلى سلعة. وعلى الرغم من أنهم يستمرّون في استخدام النتبة بالطرائق التقليدية، فإن نمط الاستخدام هذا قد يتعرّض لمخاطر تهدد وجوده مع الوقت. وتعتبر جماعة سان أن تحويل النبتة إلى سلعة هو مثال آخر يندرج في إطار عملية قديمة ترمي إلى تهميش ثقافتها وأسلوب عيشها.

**لمزيد من المعلومات، انظر:**

* Vermeylen, A. 2008. ‘From Life Force to Slimming Aid: Exploring Views on the Commodification of Traditional Medicinal Knowledge’. AppliedGeography, Vol. 28, No. 3, pp. 224–35.
* Wynberg, R. et al. (eds). 2009. Indigenous Peoples, Consent and Benefit Sharing: Lessons from the San-Hoodia Case. Heidelberg, Springer Science+Business Media B.V.
* Secretariat of the Convention on Biological Diversity. 2008. “Access and Benefit-Sharing in Practice: Trends in Partnerships Across Sectors”, *CBD Technical Series* No. 38, p. 23. Montreal, http://www.cbd.int/doc/publications/cbd-ts-38-en.pdf.

1. شركة "فيتوفارم" هي شركة متخصصة في تطوير الأدوية النباتية، وهي فئة من الأدوية قوامها النبات تكون فيها المكوّنات الفعالة محددّة بجرعات مقاسة بدقة. [↑](#footnote-ref-1)
2. A. Barnett, 2001, ‘Pharmaceutical firms stand accused of once again plundering native lore to make fortunes from natural remedies’, The Observer, 17 June. [↑](#footnote-ref-2)
3. جماعة سان ومجلس البحوث العلمية والصناعية يعلنان عن اتفاق لتقاسم المنافع المرتبطة بدواء تجريبي لمكافحة البدانة، بيان صحافي، 24 آذار/مارس 2003،

   <http://ntww1.csir.co.za/plsql/ptl0002/PTL0002_PGE013_MEDIA_REL?MEDIA_RELEASE_NO=7083643> [↑](#footnote-ref-3)
4. تقرير عن اجتماع الجهات المعنية بنبتة *هوديا*، !KHWA TTU، 22-23 كانون الثاني/يناير 2009:

   <https://www.uclan.ac.uk/research/explore/projects/assets/cpe_genbenefit_hoodia_stakeholders.pdf> [↑](#footnote-ref-4)